دراسة منهجية للوفيات في كتاب (التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل) لأبن الأثير (ت 630هـ - 1232م)

ا. م.د . الاء نافع جاسم
مركز إحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

المقدمة

للدراسات التاريخية أهميتها ولاسيما دراسة المؤلفات الذي يعطينا صورة كاملة عن تطور الواقع التاريخي للمرحلة التي عاصرها المؤلف وتكتب دراسة الشخصيات العلمية طابعاً خاصاً ومهم يدفعنا إلى التعريف بالمؤرخ ومنهجه في الكتاب والموارد التي استقى معلوماتهِ منها .

لذا أن أهمية هذه الدراسة تكمن في عرض موضوعي لمنهج ابن الأثير في كتابهِ (التاريخ الباهر) ، والطرق التي نهجها من خلال تعاملهِ مع النصوص ذات الصلة بموضوع البحث (الوفيات) ، وتحليل تلك النصوص لاسيما وإنه استوعب كل الموضوعات بشمولها الزماني والمكاني من خلال تراجمهِ تلك .

قسم البحث إلى ما يأتي :-

المقدمة

- المبحث الأول

أولاً : سيرتهِ : أسمه وكنيته ولقبه .

ثانياً : نشأته ، ومكانته العلمية .

- المبحث الثاني

أولاً : منهجهُ

ثانياًً : طرق إقتباس ابن الأثير للمعلومات .

١ -صيغة النقل والسماع .

٢ -الكتب المدونة .

المبحث الثالث

الوفيات في (التاريخ الباهر لأبن الأثير) .

١ -الوفاة بالقتل .

٢ -الوفاة بالمرض .

٣ -الوفاة المفاجئة .

٤ -تحديد مكان الوفاة .
٥ -ذكر تواريخ الوفاة .
٦ -ذكر الوفاة والولادة معاً .
٧ -تحديد العمر ومكان الدفن ونقل الرفاة .
- ثبت المصادر والمراجع .

المبحث الأول

أولاً : سيرتهُ (أسمه وكنيتهُ ولقبهُ)

علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد ، المُكنى أبو الحسن ، الشيباني المعروف بأبن الأثير الجزري ، الملقب : عز الدين [1] .

والأثير : بفتح الهمزة ، وكسر الثاء والمثلثة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها راء مهملة .

ثانيا: نشأته ومكانتهُ العلمية

ولد المؤرخ ابن الأثير في الرابع من جمادي الأولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة بجزيرة ابن عمر ، من أعمال الموصل . [2]

ترعرع في وسط عائلة متكونة من الأم والأب والأخوة وهم (مجد الدين أبو السعادات المبارك (544 – 606هـ) ، وضياء الدين نصر الله (558 – 637هـ) [3]

وعلى حد قول ابن الأثير في كتابه (تاريخ الباهر) بان " والدهُ كان موظفاً عند ملوك الموصل منذ حكم عماد الدين زنكي" [4] أنهُ عمل في خدمة جمال الدين وزير الموصل وكنائباً لهُ ربما في جزيرة ابن عمر [5] ، ومن ثم وتولى رياسة ديوان جزيرة ابن عمر وخزانتها .

يقول ابن الأثير " فحكى لي والدي قال : جاءنا كتاب فخر الدين عبد المسيح إلى الجزيرة وأنا أتولى حينئذ ديوانها والحكم إليّ فيهِ ....." [6]

وإلى جانب منصبهِ هذا فقد عمل والد ابن الأثير في التجارة كما جاء على لسان ابن الأثير نفسهِ " فلما أخذ الفرنج هذين المركبين ، كان لوالدي فيهما تجارة مع شخصين ...." [7]

ومن خلال ذلك نجد إن أسرة ابن الأثير كانت على درجة من الثراء فكانت تملك بساتين عدة في قرية العقيمة من أعمال جزيرة ابن عمر وكذلك لهم قرية في أسفل الموصل يقال لها (قصر حرب)[8].

أما أخوته كانت لهم اتجاهات علمية في حياتهم فاختار مجد الدين أبو السعادات العلوم الدينية ، وتخصص ضياء الدين نصر الله بالأدب ، وأما مؤرخنا ابن الأثير فأنه اختار التاريخ .

واشتهروا إخوته بهذه العلوم فاجتهدوا وثابروا وألفوا العديد من الكتب كلٌ ضمن اختصاصهِ ، فألف مجد الدين كتباً في الحديث والتفسير والكتابة والرسائل ، وصنف أخيه ضياء الدين عدداً من الكتب الأدبية .

وشغلوا كذلك مناصب إدارية لها شأنها في الدولة الزنكية ، فعمل مجد الدين كاتبا للإنشاء لمجاهد الدين قايماز وزير عز الدين مسعود صاحب الموصل ، وتولى أخيه ضياء الدين منصب ديوان الرسائل لعز الدين مسعود ،ثم ديوان أبنهِ نور الدين أرسلان [9] وأما أخيه ضياء الدين فقد وزر للملك الأفضل بن صلاح الدين صاحب دمشق [10] .

يتضح من ذلك أن ابن الأثير عاش وسط عائلة اشتهرت بالعلم والاجتهاد والتأليف الأمر الذي جعلهُ هو الآخر يعمل بجد لأجل الوصول إلى ما وصل إليه إخوانه ، فبعد أن ترعرع في جزيرة ابن عمر وتعلم فيها انتقل مع والديه وأخويه إلى الموصل عام 579هـ ، فقرأوحفظ القران منذ صغره وتلقى علوم مختلفة على ايدى مشايخ عصره آنذاك فدرس الحساب واللغة والفقه والحديث والأصول والفرائض والمنطق والهيئة والنجوم والقراءات ، فلا غرابة إذن أن يصبح عالماً ومؤرخاً وإماماً وإخبارياً ونساباً وأديباً [11] ، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة وخبيراً بأنساب العرب ووقائعهم وأخبارهم [12] .

كانت لهُ سماعات كثيرة للمناطق التي سكن بها أوزارها كما هو الحال في الموصل وبغداد عندما زارها أثناء تأديتهِ فريضة الحج تارةً ورسولاً إليها من صاحب الموصل تارةً أخرى ، ففي بغداد سمع ، عبد المؤمن بن كليب ، وعبد الوهاب بن سكينة ، وفضلاً عن زيارتهِ للقدس والشام ، فسمع بدمشق من القاسم بن صصري ، وسمع أيضاً من أبي الفضل عبد الله بن احمد الخطيب الطوسي [13] ، وعبد الله بن سويدة [14] . وأبو العباس احمد بن عبد الرحمن بن وهبان المعروف بابن أفضل الزمان [15] ، وجمال الدين أبو علي بن رواحة الحموي [16] ، وأبو القاسم يعيش بن صدقة بن علي الفراتي الضرير [17] ، وأبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كليب [18] ، وأبو حفص عمر بن محمد بن المعمر بن طبرزد البغدادي [19] ، ومن القاضي ابن غنائم بن العديم الحلبي [20] ، وأبوالحرم مكي ابن ريان بن شبه النحوي المقرئ بالموصل [21] وغيرهم .

كان ابن الأثير إماماً في حفظ الحديث ، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ، وخبيراً بأنساب العرب وأيامهم ووقائعهم وأخبارهم [22] ، وكان بيتهُ مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها [23] فصنف ابن الأثير في التاريخ كتب عدة ، لأنهُ كان محباً لهذا العلم لما سمعهُ من والدهُ وأخيه عن أحداث وأخبار الحكام والسلاطين الذين حكموا الموصل كما ذكر ذلك في كتابهِ (التاريخ الباهر) . وقد دفعت هذه الأخبار الشيقة ابن الأثير لأن يولع ويهتم بتسجيل الأحداث ، على الرغم من إنه كان على درجة من الأمانة والصدق في معرفة وحفظ الحديث وقد سلك المسلك نفسه عند كتابة علم التاريخ . يقول ابن خلكان " فأنه لم يعن بالتأليف في علم الحديث أو في

غيره من العلوم التي درسها ، بينما مؤلفاتِهِ المعروفة لدينا كلها في التاريخ " [24]
ومنها كتابهِ الكبير (الكامل*) [25]
ووضع مختصرا لكتاب (الأنساب) لأبي سعد عبد الكريم بن السمعاني ، مستدركاً عليه في مواضع ومنبهاً على أغلاط وردت فيه ، كما زاد عليه أشياء وأ همل أشياء في مواضع وهو(اللباب في تهذيب الأنساب)[26] ولهُ كتاب آخر بعنوان (أسد الغابة * في معرفة الصحابة) [27] والتاريخ* الباهر في الدولة الأتابكية (بالموصل) [28].
يقول المحقق لهذا الكتاب في المقدمة بأن لابن الأثير كتاب آخر بعيد عن التاريخ عنوانه (تحفة العجائب وطرافة الغرائب) جاء في مقدمته " ما أظهرته الحكمة الإلهية ، وما أبدعتهُ القدرة الربانية في عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، وطرزتها من ملح الأجنا د، ونوادر الأشعار " [29] توفي ابن الأثير في الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاثين وستمائة بالموصل . [30]

المبحث الثاني

أولاً : منهجـــــــهُ

تناول مؤرخنا ابن الأثير في كتابهِ (التاريخ الباهر) حكام الدولة الأتابكية * ، والأتابكيون هم إحدى الأسر التي حكمت الموصل ، وهذا أحد الأسباب التي دفعته إلى تسجيل تاريخ هذه الأسرة والدور الذي لعبتهُ ضد الاحتلال الصليبي ، زيادةً إلى علاقة أفراد أسرتهُ مع هؤلاء الملوك .
وضع مؤرخنا من خلال مقدمتهِ ، مدحاً جليلاً واعجاباً بهذه الدولة وسلاطينها يقول " أما بعد ، والذي غمرنا من أنعام هذه الدولة العزيزة القاهرة ، والأيام الأتابكية الزاهرة ، وشملنا من إحسانها ، وأنا لتنا من عز سلطانها ، فقد أشتهر خبره ، وطاب مخبره ..... " [31]
النهج الذي أتبعهُ في كتابهِ هذا بالاختصار أتسم بالإطالة والإكثار ، في حين ذكر النصوص نفسها في كتابهِ (الكامل في التاريخ) بشكل أكثر تفصيلاً ، يقول " فأنني تعمدت ترك الإكثار ، لميل الناس في زماننا إلى الاختصار وابتدأت بذكر المولى الشهيد الكبير قسيم الدولة آقسنقر رضي الله عنهٌ ، لأنهُ أول من ملك منهم فيما علمناهُ وذكرت ما حضره من الحروب قبل مُلكه وبعده وكذلك ولدهُ المولى الشهيد عماد الدين زنكي قدس الله روحه ولم أذكر أحداً غير ملوك هذا البيت الشريف إلا وفاة خليفة واستخلاف آخر ، وموت سلطان سلجقي وولاية غيره إذا الضرورة تدعو إليه . " [32]

سرد ابن الأثير أخبار عماد الدين زنكي ، وهو الابن الوحيد لقسيم الدولة ، منذ مقتل والده حتى وفاته سنة 541هـ حيث تناول حياتهِ ، ومدة حكمهِ وما صادفتهُ من مشاكل في الدولة ذاتها . [33]

وتناول أخبار سيف الدولة غازي بن عماد الدين وأبرز أعماله آنذاك [34]، ومن ثم ذكرهُ لأخبار قطب الدين مودود ، الذي خلف أخاه سيف الدين على الموصل (544-565هـ) والأحداث التي جرت في عصره [35].

وانتقل ابن الأثير إلى أخبار نور الدين محمود (541- 569هـ) وأزمة الاستخلاف التي حدثت في البيت الزنكي بعد وفاة نور الدين محمود سنة 569هـ بسبب صغر سنهِ [36].

وقد امتاز أسلوب ابن الأثير في كتابهِ (التاريخ الباهر) بالوضوح والدقة والسلاسة ، فصب جُلّ اهتمامهِ على المادة التاريخية أكثر من اهتمامهِ بالبلاغة ، ويتضح ذلك وصفهُ للأحداث كالمعارك التي دارت بين الصليبيين وبين عماد الدين ونور الدين وغيرها .

وأبدع أيضاً ابن الأثير في أسلوبه بوصف المعارك التي دارت بين السلاطين الزنكيين والصليبيين .

وكان يذكر ، على الأغلب ، وفيات السلاطين والملوك والخلفاء والوزراء ، ثم يتناول سرد الوقائع التاريخية التي تتعلق بهم كغيره من المؤرخين ، كقوله " في منتصف شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة توفي السلطان ركن الدين ملكشاه .... وكان مولده في جمادي الأولى سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، فكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة وستة أشهر وكان ملكه نحو عشرين سنة " [37] " وفي عاشر رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، قتل الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن إسحاق ...." [38]

اتصفت كتابات ابن الأثير كذلك بالدقة والحرص عند تناوله للحدث ، فيلاحظ إنه أحياناً يذكر سنةً ما ، مع أحداثها ثم يعود ويكرر ذكر السنة نفسها في نهاية الحدث كقولهِ " وفي هذه السنة – اعني سنة ست وعشرين وخمسمائة " . [39]

وزيادة إلى ذلك يستشهد ابن الأثير ببعض الأبيات الشعرية في كثير من المناسبات التي تُشيد بالزنكيين الذين عاصروا هذه الحقبة مثل الشاعر محمد بن نصر بن صغير بن عبد الله القيسراني [40] والشاعر سعد بن محمد المعروف بالحيص بيص وغيرهم ، وكذلك شعراء غير معاصرين كأبي تمام [41].

وأيضاً استشهد ابن الأثير في كتاباتهِ ببعض الآيات القرآنية عند سردهِ للحدث التاريخي . [42]

ولم يقتصر منهج ابن الأثير على الأحداث السياسية أو سيرة السلاطين والخلفاء والملوك في كتابهِ هذا ، بل تطرق إلى بعض الأحداث الغريبة واصفاً إياها بـ " نادرة عجيبة" [43]، كما تضمن فقرات عن بعض الكوارث كالزلازل مثل " في ذكر الزلزلة التي جرت في الشام ونواحيها " [44]، وما ينجم عنها كقولهِ " كان بالشام زلزلة شديدة ذات رجفات عظيمة متتابعة أخربت البلاد وأهلكت العباد ...." [45]

وهناك بعض الكوارث ذات أثر على الحياة الاقتصادية يقول " ذكر الغلاء والوباء" [46]

ثانياً : طرق اقتباس ابن الأثير للمعلومات

اعتمد ابن الأثير في تدوين كتابهِ عل موارد متعددة كانت أغلبها نقلاً شفهياً ولأنهُ امتاز بالدقة في انتقائه واختياره للمعلومات فقد زادت أهمية وقيمة مؤلفاتهِ العلمية إذ يذكر الأشخاص الذين عاصروا الحدث نفسهِ وكانوا شهوداً عليه كوالده وأخيه ، أو بعض الشيوخ المتصوفين وبعض العلماء الذين يثق بهم .

١ ـ النقل والسماع

استخدم ابن الأثير صيغ متعددة عند اقتباسهِ للمعلومات ، منها بالنقل أو السماع قولهِ " ونقلت أكثرهُ عن والدي رحمهُ الله تعالى ، فأنهُ كان رواية حسناتهم ... وقد فأتني كثير مما سمعتهُ منهُ لأنني جمعت هذا القدر من حفظي بعد وفاتهِ ، ولم أثبته بقلمي في حياتهِ . " (47)

" وحدثني والدي " (48) ، " وحكى لي والدي " (49) " وقال والدي " (50) .

يقول ابن الأثير عن سيرة المولى السعيد نور الدين : " حكى لي أخي مجد الدين رحمه الله" (51) ذلك إن مجد الدين كان قد عاش في عصر المولى السعيد نور الدين وكانت لديه معلومات ربما لا تتسنى لغيره الاطلاع عليها ، كما يمكن عد مجد الدين مصدر موثوق بالنسبة لابن الأثير . " وسمعتُ أخي مجد الدين رحمه الله غير مرة ....." (52) وتارة أخرى يقول عن الذين عاصروا الحدث " حكى لي جماعة عن الشيخ أبي القاسم وهو رجل من الصالحين ..." (53)

" وحكى لي من أثق إليه من العدول بالموصل " (54) " وحكى لي بعض الصوفية ممن كان يصحب الشيخ عمر النسائي شيخ الشيوخ بالموصل " (55)

"وحكى لي أيضاً بعض العلماء بالأخبار والأنساب " (56)

" وحكى لي أيضاً غير واحد ممن أثق بهِ " (57) " ولقد بلغني ...." (58)

ويلاحظ في كثير من الأحيان إن ابن الأثير لا يعتمد في تدوين الحدث على غيره من المؤرخين بل على ما شاهدهُ وعاصرهُ بنفسهِ ، فيقول عن المولى السعيد نور الدين " فأنا أذكر ما رأيتهُ منهُ ...." (59) .

٢ ـ الكتب المدونة

كتب مدونة لا يرد فيها اسم الكتاب ولا مؤلفها

يلاحظ في بعض الأحيان ، ان ابن الأثير حين يستقي معلوماتهِ لا يذكر اسم الكتاب ولا مؤلفه ، الأمر

الذي يصعب على الباحث معرفة كيفية استخراج هذه النصوص من مصادرها الرئيسة وصعوبة الاستدلال على اسم الكتاب وعلى مؤلفهِ ، كقوله " قال صاحب التاريخ" (60) ، وجاء في موضع آخر " يذكر أهل التواريخ" (61) أو " .....مذكوراً في كتب التواريخ " (62) وكذلك بالنسبة إلى الأبيات الشعرية فأنه لا يحدد قائلها كقولهِ " وقال بعض الشاميين " (63) وغيرها .

كتب مدونة يذكر فيها اسم المؤلف والكتاب

كان استخدام ابن الأثير للكتب المدونة قليل جداً لأنهُ كما قلنا اعتمد في تأليفهِ على المشافهة ومشاهدة الحدث سواء كان ذلك من قبله أو عن طريق غيره ، فقد اعتمد على بعض المؤرخين المعروفين لذلك يرد ذكر أسماؤهم وعناوين كتبهم على الرغم من استقائه معلومات قليلة ومحدودة من مصنفاتهم وهذا يسهل على الباحث التعرف على موارد ابن الأثير كما في قولهِ " ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في*س تاريخ دمشق " و " قال حكى : لي بعض الأئمة العلماء" (64)

وقوله أيضاً عن المؤرخ " كمال الدين * بن العديم " " ومن عجائب الاتفاق، ما حكاهُ كمال الدين بن العديم في كتاب – أخبار حلب " (65) ونقل عن المؤرخ أيضاً قولهِ " قالَ العماد * محمد بن حامد الكاتب وقد ذكر نور الدين في بعض مصنفاتهِ " (66)

وأحياناً أخرى يحدد عنده ذكره بعض الأبيات الشعرية وهذا يسهل أيضاً عملية استخراج الأبيات الشعرية من ديوان الشاعر ذاتهِ كقولهِ " وقال الشعراء في هذه الحادثة فأكثروا من ذلك قول القيسراني * من قصيدة ....." (67) .

المبحث الثالث

الوفيات في (التاريخ الباهر)

نظم ابن الأثير منهجهُ عند تدوينه للوفيات ، بذكر الوفاة في بداية الترجمة ومؤكداً عليها أكثر من ذكره للولادة ويمكن تقسيمها كالآتي :

١ ـ الوفاة بالقتل

أشار ابن الأثير إلى عدد كبير من السلاطين والملوك والخلفاء والوزراء الذين تمت وفاتهم بالقتل ، وفي بعض الأحيان يرفق مع الوفاة أسباب القتل على حد معرفته لذلك الشخص كقولهِ في ذكر قتل نصير الدين جقر على يد الملك ألب أرسلان يقول " في ذي القعدة في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة قتل نصير الدين جقر بن يعقوب نائب الشهيد بالموصل ، وسائر البلاد الشرقية ، وكان قتلهُ ، أن الملك ألب أرسلان المعروف بالخفاجي ولد السلطان محمود بن محمد كان عند الشهيد وهو أتابكة ومربيه ، وكان يظهر للخلفاء وللسلطان مسعود وأصحاب الأطراف أن البلاد التي بيده ، إنما هي للملك ألب أرسلان ، وأنه نائبه فيها ..... وكان ينتظر وفاة السلطان مسعود ليجمع العسكر باسمه ويخرج الأموال ويطلب لهُ السلطنة فعاجلتهُ المنية ، قبل ذلك ، ..... فحسن المفسدون للملك قتلهُ وقالوا لهُ : إنك إن قتلتسهُ ملكت الموصل وغيرها ، ...... ودخل نصير الدين إليه على عادتهِ وثب عليهِ جماعة في خدمة الملك فقتلوه." (68) و" ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر رضي الله عنهُ" " في جمادي الأولى من سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، قتل قسيم الدولة آقسنقر وبوزان صاحب حران ، وكان

سبب قتلهما ، أن تاج الدولة تتش لم يزل يجمع العساكر بعد عودة في آذربيجان إلى الآن ، فكثر جمعهُ ، وعظم حشده ، وسار عن دمشق نحو حلب ، فاجتمع قسيم الدولة وبوزان وأمدهما السلطان ركن الدين بركياروق بالأمير كر بوغا – وهو الذي صار فيما بعد صاحب الموصل – فلما اجتمعوا وبلغهم مسير تاج الدولة عن دمشق ، تقدموا نحوهُ وألتقوه برويان على نهر سبعين بالقرب من تل السلطان ، بينهُ وبين حلب نحو ستة فراسخ ، واقتتلوا وأشتد القتال ، فخامر بعض عسكر قسيم الدولة وانهزموا وتبعهم الباقون وثبت قسيم الدولة فأخذ أسيراً وأحضر عند تاج الدولة وانهزموا وتبعهم الباقون وثبت قسيم الدولة فأخذ أسيراً وأحضر عند تاج الدولة فقال لهُ : لو ظفرت بي ما كنت صنعت قال " كنت أقتلك قال : فانا احكم عليك بما كنت تحكم عليّ فقتلهُ صبراً ، وسار نحو حلب ، وكان قد دخل إليها الأمير كربو قا و بوزان فحفظاها منهُ ولج في قتالها حتى ملكها وأخذهما أسيرين ، وأرسل إلى حران والرها ليملكها – وكانت لبرزان- فامتنع من بهما من التسلم إليه فقتل بوزان وأنقذ رأسهُ وتسلم البلدين ......" [69]

وقد يشير بعض الأحيان إلى مكان القتل والمدينة أيضاً كقوله " قتل آقسنقر البرسقي بالجامع العتيق بمدينة الموصل ....." [70] وتارة أخرى يحدد وقت القتل كقوله " قتله صبي ديلمي بعد الإفطار" [71] .

وأحياناً أخرى " لا يذكر سبب القتل بل يقتصر على تشخيص أو تسمية القاتل فيقول " في عاشر رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، قتل الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن إسحاق ، قتلهُ صبي ديلمي بعد الإفطار " [72] .

" وفي سنة عشرين وخمسمائة ، قتل آقسنقر البرسقي بالجامع العتيق بمدينة الموصل بعد الصلاة يوم الجمعة ، قتلهُ الباطنية " [73]

وحول قتل الخليفة الراشد يقول " فقتلهُ الباطنية سابع وعشرين رمضان سنة أثنين وثلاثين وخمسمائة ، ودفن بأصفهان " [74]

وقوله بقتل الشهيد زنكي رضي الله عنه " فبينما هو نائم دخل عليه نفر من مماليكه فقتلوه غيله ..." [75]

وعن قتل البرنس صاحب أنطاكية يقول " وفيمن قتل البرنس صاحب أنطاكية كان عاتياً من عتاه الفرنج ، وذوي التقدم فيهم ....." [76] .

وأحياناً اخرى يتطرق إلى واقعة القتل فقط قوله بقتل الوزير " وزر لهُ عضد الدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء إلى أن قتل أوائل ذي القعدة من سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة " [77] .

2- الوفاة بالمرض

ويصف ابن الأثير الوفاة بالمرض لصاحب الترجمة مع ذكر نوع المرض كقولهِ وفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان رضي الله عنه يقول " في منتصف شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة توفي السلطان ركن الدين ملكشاه رضي الله عنه وسبب وفاته أنه

أكل لحم صيد فأكثر منهُ ، فأخذتهُ حمى حادة فتوفي منها " [78] وفي ذكر وفاة السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه يقول " في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، توفي السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه وكان مرضه في شعبان من هذه السنة وكان مرض السل ...." [79] .

وزيادة إلى ذلك يورد في وفاة الخلفاء بالمرض ذكر وفاة أمير المؤمنين المستظهر بالله يقول " في سادس عشر شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين عشرة وخمسمائة توفي الإمام المستظهر بالله أمير المؤمنين أبو العباس احمد بن المقتدى بأمر الله من تراقي * ظهرت بهِ . " [80]

وفي ذكر مفارقة زين الدين الموصل ووفاتهِ يقول " وسبب فراق زين الدين أنه أصابه وعمى وصمم وأقام باربل إلى أن توفى من سنتهِ وكان قد استولى عليه الهرم وضعفت قوتهِ . " [81]

وفي بعض الأحيان لربما يسهو ابن الأثير ذكر سبب الوفاة في مقدمة الحدث على عادتهِ ، فيدون سببهُ في نهايتهِ كقولهِ في وفاة المولى السعيد المرحوم عز الدين " ثم سار إلى الموصل فوصلها مريضاً بالإسهال . وبقي كذلك إلى أن توفى ..... وقد ابتدأ بهِ إسهال بنزيف ...." [82] وتارة أخرى لا يذكر نوع المرض ويكتفي بالقول إنه توفي بسبب المرض كقول في ذكر وفاة أسد الدين شيركوه وملك صلاح الدين يوسف بن أبي أيوب يقول " فمرض وتوفي يوم السبت الثاني والعشرين من جمادي الآخرة ..... " [83]

" وتوفي الوزير جمال الدين محبوساً وكان لهُ نحو سنة منذ مرض فمضى لسبيلهِ . " [84]

" وتوفي الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل نور الدين محمود بن الشهيد عماد الدين زنكي ... بمدينة حلب ولم يبلغ عشرين سنة ولما أشتد مرضهُ . " [85]

وقليل جداً لم يحدد مرض الوفاة بل يذكر عدد منهُ كقولهِ في وفاة المولى السعيد نور الدين يقول " وكان كثير الأمراض منحرف المزاج ، واختلف الأطباء في مرضهِ الذي توفي به ، فقيل لوث مزاج ، وقيل قرحة وغير ذلك تنوعت الأسباب والداء واحد . " [86]

3- الوفاة المفاجئة

وصف ابن كثير موت الخلفاء والسلاطين المفاجئ فيقول " توفي الإمام المقتدى بأمر الله أمير المؤمنين رضي الله عنهُ فجأة . " [87]

4-تحديد مكان الوفاة

وقد يرد أحيانا وفاة المترجم فقط دون الإشارة إلى سبب الوفاة ولكن في بعض الأحيان يحدد مكان الوفاة ، كما في " وتوفي سنة إحدى وعشرين وخمسمائة " [88] و " في سنة خمس وعشرين وخمسمائة توفي السلطان محمود بهمذان " [89] " وفي

المحرم من سنة أربع وتسعين وخمسمائة توفي الملك العادل عماد الدين زنكي ابن السعيد . " [90] " وفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة توفي الإمام المستنضىء بامر الله أمير المؤمنين " [91] " وتوفي مجاهد الدين قايماز رحمه الله تعالى بقلعة الموصل . " [92] و" توفي الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل نور الدين محمود بن الشهيد عماد الدين زنكي ..... بمدينة حلب " [93] " وتوفي أتابك قطب الدين مودود ابن أتابك الشهيد زنكي بن آق سنقر رضي الله عنهُ بالموصل . " [94]

5- ذكر تواريخ الوفاة

اختلف منهج ابن الأثير في تاريخ الوفاة كان أحياناً لا يحدد الوقت بل يذكر اليوم والشهر والسنة كقولهِ " وتوفي يوم السبت الثاني والعشرين من جمادي الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة . " [95]

و " في عاشر رمضان سنة خمس وثمانين واربعمائة " [96]

و" في منتصف شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة " [97]

و " في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة أحدى عشرة وخمسمائة " [98]

و " قتل أوائل ذي القعدة من سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة " [99]

وتارة أخرى يؤرخ الوفاة بالوقت واليوم والسنة والمكان كقولهِ " توفي الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر بدمشق يوم الأربعاء حادي عشر شوال من سنة تسع وستين وخمسمائة . " [100] و" في سنة عشرين وخمسمائة ، قتل آقسنقر البرسقي بالجامع العتيق بمدينة الموصل بعد الصلاة يوم الجمعة . " [101]

ويذكر أيضاً تاريخ الوفاة بالسنة فقط كقولهِ " في سنة خمس وعشرين وخمسمائة توفي السلطان محمود بهمذان . " [102]

و" في سنة خمس وسبعين وخمسمائة توفي الإمام المستضىء بأمر الله ....." [103]

وأحياناً أخرى يؤرخ الوفاة بالشهر فقط كقولهِ " فتوفي يوم عاشوراء " [104]

وهناك بعض الوفاة يؤرخ لها بربطه بحدث معين كما في " ذكر قتل الشهيد زنكي رضي الله عنه " يقول " قد ذكرنا حصار قلعة جعبر وملازمة الشهيد قتالها فلم يزل كذلك إلى أن مضى من شهر ربيع الآخر خمس ليال ، فبينما هو نائم دخل عليه نفر من مماليكه فقتلوهُ غيله ..." [105]

و " بخروج ملك الروم إلى الشام " يقول " وفيها توفي القاضي بهاء الدين علي بن القاسم الشهرزوري قاضي الممالك الأتابكية وكان أعظم الناس منزلة عندهُ " [106]

وأحياناً أخرى لا يرد أي تاريخ للوفاة بل يشير إلى الوفاة بقوله " فلم تطل أيامهِ وأدركهُ أجلهُ في عنفوان شبابهِ فتوفى " [107]

6- ذكر الوفاة و الولادة معاً

قلما يذكر مؤرخنا ابن الأثير في كتابهِ (التاريخ الباهر) وفاة وولادة المترجم لهً معاً ،وكما قلنا أن منهجهُ تم فيهِ تدوين الوفيات في مقدمة الحدث ومن ثم ولادتهُ كغيره من

المؤرخين مثل " في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، توفي السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه وكان مولده السلطان محمد ثامن عشر شعبان سنة أربع وسبعين وأربعمائة ." [108]

و" توفي الملك

العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر بدمشق يوم الأربعاء حادي عشر شوال من سنة تسع و ستين و خمسمائة .... كان مولده تاسع عشر شوال من سنة أحدى عشرة و خمسمائة . " [109]

وكذلك حول وفاة وولادة الخليفة المقتفى لأمر الله " في ثاني ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة توفي أمير المؤمنين

المقتفى لأمر الله .... كان مولده ثاني عشر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وأربعمائة . " [110]

٧ -تحديد العمر مكان الدفن و نقل الرفاة

لم يقتصر ابن الأثير على ذكر الوفيات فقط ، بل أحياناً يحدد عمر المترجم له فيكون تارة باليوم والشهر والسنة كما جاء في " وكان عمره سبعاً ثلاثين سنة وأربعة أشهر وستة أيام " [111]

" وكان عمره أحدى وأربعين سنة وستة أشهر وستة أيام . " [112] وكما يحدد عمر الخليفة المقتدى بأمر الله يقول " وعمرهُ تسع ثلاثون سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام " [113]

وأحياناً يحدد العمر بالسنة فقط كقوله " وكان عمرهُ نحو ثمانية وعشرين سنة " [114] وقوله ايضا " وقد جاوز عمره اربعين سنة" [115] ولم يكتف ابن الأثير بذلك بل راح أحياناً يحدد المكان والمدينة التي دفن فيها المترجم كقوله " ودفن بالمدرسة التي أنشاها بالموصل ." [116]

" دفن بقلعة دمشق" [117]

" دفن بأصفهان " [118]

ويتحدث أيضاً عن نقل الرفاة لهؤلاء المترجم لهم كقوله " وتوفي بدنيسر سنة أربع وسبعين وخمسمائة وحُمل الى الموصل ودفن بها ثم حمل منها في موسم الحج إلى المدينة فدفن عند والدهُ " [119].

ويذكر بنقل الرفاة مع ذكر مراسيم التشييع وهذا قلما يذكرهُ ابن الأثير فيقول " ودفن بالموصل نحو سنة ... ومن يقرأ بين يدي تابوته عند النزول والرحيل و قدوم مدينة تكون في الطريق و ينادون في البلاد للصلاة عليه ففعلوا ذلك فكان يصلي عليهً في كل مدينة خلق كثير .... ثم وصلوا به مكة وطافوا بهِ حول الكعبة وصلوا عليه بالحرم وحملوه إلى المدينة وصلوا عليهِ أيضاً ودفنوهُ بالرباط الذي أنشأه بها بينه و بين النبي نحو خمسة عشر ذراعاً " [120].

الهوامـــــــــش

(١) المنذري ، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت 656هـ) ، التكملة لوفيات النقلة ، حققه د. بشار عواد معروف ، ط الثانية ، سنة 1401هـ - 1981م ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ، م3 ، ص347، ابن خلكان ، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه د. إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، م3، ص348- 349، الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت 748هـ) ، العبر في خبر من غبر ، حققه أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، بيروت – لبنان ، ج3 ، ص207 ، تذكرة الحفاظ ، حيدر آباد ، الدكن ، 1958م ، ج4، ص1124، السبكي ، أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت 771هـ) ، طبقات الشافعية الكبرى ، ، تحقيق ، د. عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي ، ط 2 ، دار الهجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الجيزة ، 1413هـ - 1992م ، ج8 ، ص300 ، ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774هـ) ، البداية و النهاية ، الطبعة الأولى ، 1966م ، والطبعة الثانية ، 1977م ، بيروت ، ج13 ، ص139 ، ابن العماد ، أبي الفلاح عبد الحي (ت 1089) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت – لبنان ، م5 ، ص137 ، البغدادي ، إسماعيل باشا ، هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، بغداد سنة 1951م ، م1، ص706 .

(٢) التكملة لوفيات النقلة / م3 ، ص347 ، وفيات الأعيان ، م3، ص348 .

(٣) وفيات الأعيان ، م1، ص557.

(٤) التاريخ الباهر ، ص78 .

(٥) م . ن ، ص118 .

(٦) م . ن ، ص147 .

(٧) م . ن ، ص155 .

(٨) م . ن ، ص147 .

(٩) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م1 ، ص557 .

(١٠) م . ن ، م2 ، ص208 .

(١١) ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، 198 .

(١٢) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج8 / 300 .

(١٣) أبي الفضل عبد الله بن احمد الخطيب الطوسي ، توفي سنة 622هـ في الوباء الذي انتشر بالموصل ، الكامل في التاريخ / ج9 / 364 .

(١٤) عبد الله بن سويد ، توفي سنة 584، الكامل ، ج9 ، 198 .

(١٥) أبو العباس احمد بن عبد الرحمن بن وهبان المعروف بابن أفضل الزمان ، كان عالماً متبحراً بمختلف العلوم ، أقام بمكة وتوفي بها سنة 585هـ ، الكامل ، ج9 ، 205 .

(١٦) جمال الدين أبو علي بن رواحة الحموي ، كان عالماً ، ولهُ شعر حسن قُتل في وقعة عكام عام 585هـ ، الكامل ، ج9 ، 202 .

(١٧) أبو القاسم يعش بن صدقة بن علي الفراتي الضرير ، كان إماماً في الفقه ، مدرساً صالحاً كثير الصلاح يقول ابن الأثير سمعت عليه كثيراً لم أرَ مثلهُ وتوفي سنة 593هـ / الكامل / ج9 / 239 .

(١٨) أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كليب الحراني ، كان عالماً وشيخاً عالي الإسناد في الحديث وثقة ، وصحيح السماع وكان مقيماً ببغداد وتوفي سنة 596هـ ولهُ ست وتسعون سنة وشهران ، الكامل / ج9 / 206 .

(١٩) أبو حفص محمد بن محمد بن المعمر بن طبرزد البغدادي ، عالماً عالي الإسناد وكان في بغداد توفي سنة 607هـ ، الكامل ، ج9 / 305 .
(٢٠) ابن غنائم بن العديم الحلبي ، كان قاضي في المجتهدين في العبادة والرياضة والعاملين بعلمهم ، سمعنا عليه الحديث وانتفعنا برؤيتة وكلامه ، توفي سنة 628هـ ، الكامل ، ج9 ، 387 .
(٢١) أبو الحرم مكي ابن ريان بن شبه النحوي المقرئ ، عالماً عارفاً بالنحو واللغة والقراءات ولم يكن في زمانه مثله ، وكان ضريراً توفي في شوال سنة 603هـ ، الكامل ، ح9 / 290 .
(٢٢) ابن خلكان / وفيات الأعيان / م3 / 348 .
(٢٣) م . ن / م3 / 348 .
(٢٤) م . ن / م3 / 349 .
(٢٥) م . ن .
*الكتاب مطبوع .
*الكتاب مطبوع .
(26) ابن خلكان / وفيات الأعيان / م3 / 349 .
* الكتاب مطبوع .
(27) ابن العماد / شذرات الذهب / م5 / 137 .
* الكتاب مطبوع ، وهو موضوع بحثنا هذا .
(28) المنذري ، التكملة لوفيات النقلة / م3 ، 348 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان / م3 / 349 .
(29) التاريخ الباهر / المقدمة / 14 ، حاجي خليفة ،مصطفى بن عبد الله (ت 1067هـ) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / م 1/ 369 .
(30) ابن خلكان ، وفيات الأعيان / م3 / 349 .
* نسبة إلى لقب أتابك ، وهو لفظ مركب من مقطعين (آتا) ومعناه (آب) و(بك) معناه (أمير) ، وقصد هنا عماد الدين زنكي ولقب بذلك لقيامهِ على تربية الملك الب أرسلان بن السلطان محمد السلجوقي وعندما تولى امرة الموصل سنة 521هـ / القلقشندي ، احمد بن علي (ت 821هـ) ، صبح الأعشى في صناعة الانشا / تحقيق يوسف علي الطويل / دار الفكر ، دمشق 1408هـ / 1987م .
(31) التاريخ الباهر / 1 .
(32) التاريخ الباهر/3 .
(33) م . ن / 15-32 .
(34) م . ن / 84 – 92 .
(35) م . ن 93- 146 .
(36) م . ن .
(37) م . ن ، 10 .
(38) م . ن / 9 .
(39) م . ن / 47 .
(40) م . ن / 92 ، 99-100 .
(41) م . ن /101 .
(42) م . ن / 87 ، 101 .
(43) م . ن 87 .
(44) م . ن / 110 .
(45) م . ن .
(46) م . ن / 178 .
(47) م . ن / 3 .

(48) م . ن 74 .
(49) م . ن / 17،1 3، 77،80،118،129 .
(50) م . ن / 8 7، 199 .
(51) م . ن / 199 .
(52) م . ن / 201 .
(53) م . ن / 127 .
(54) م . ن / 129 .
(55) م . ن .
(56) م . ن .
(57) م . ن / 70 .
(58) م . ن ، 110 .
(59) م . ن /201 .
(60) م . ن /125 .
(61) م . ن /8 .
(62) م . ن / 10 .
(63) م . ن / 104 .
* المؤرخ والمحدث أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن عساكر (ت 571هـ / 1175م) ، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية / ط 1/ دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / 1446هـ - 2005م / 263.
(64) التاريخ الباهر / 89 .
* كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن احمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن ابي جرادة المعروف بابن العديم (ت 660هـ - 261 1 م) صاحب كتاب (أخبار حلب) أو (تاريخ حلب) / القرشي ، الجواهر المضيئة /250 .
(65) التاريخ الباهر . 126
* الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله المعروف بابن أخي العزيز العماد الكاتب الأصبهاني (ت 597هـ - 1200م) / صاحب كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر) / السبكي / طبقات الشافعية / ج6 / 179.
(66) التاريخ الباهر / 174 .
* محمد بن نصر بن صغير بن عبد الله القيسراني .
(67) التاريخ الباهر/ 103 .
(68) م . ن / 71- 72 .
(69) م . ن 15 .
(70) م . ن 31 .
(71) م . ن / 9 .
(72) م . ن .
(73) م . ن / 31 .
(74) م . ن / 55 .
(75) م . ن / 74 .
(76) م . ن / 99 .
(77) م . ن / 179 .
(78) م . ن / 10 .

(79) م . ن / 20 .
* التراقي : دمل يطلع في الحلق / جمال الدين أبي المحاسن يوسف / ابن تغري بردي (ت 874هـ) ، النجوم الزاهرة / مصر 1929م / ج5 / 216 .
(80) التاريخ الباهر/ 22 .
(81) م . ن / 135 .
(82) م . ن / 185 .
(83) م . ن / 105 .
(84) م . ن / 127 .
(85) م . ن / 181 .
(86) م . ن / 197 .
(87) م . ن / 13 .
(88) م . ن / 32 .
(89) م . ن / 42 .
(90) م . ن / 191 .
(91) م .ن / 179 .
(92) م . ن / 193
(93) م . ن / 181 .
(94) م . ن / 146 .
(95) م . ن / 141 .
(96) م . ن / 9 .
(97) م . ن / 10 .
(98) م . ن / 20 .
(99) م . ن / 179 .
(100) م . ن / 161 .
(101) م . ن / 31 .
(102) م . ن / 42 .
(103) م . ن / 179 .
(104) م . ن / 156 .
(105) م . ن / 74 .
(106) م . ن / 57 .
(107) م . ن / 192 .
(108) م . ن / 20 .
(109) م . ن / 162 .
(110) م . ن / 164 .
(111) م . ن / 22 .
(112) م . ن / 22.
(113) م . ن / 13 .
(114) م . ن / 42 .
(115) م . ن / 146 .
(116) م . ن / 92 .
(117) م . ن / 161 .

(118) م . ن / 55 .
(119) م . ن / 77 .
(120) م . ن / 127 – 128 .

المصادر والمراجع

- ابن الأثير : علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ - 1232م) .
١ - التاريخ الباهرفى الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق / عبد القادر احمد طليمات / القاهرة .
٢ - الكامل في التاريخ ، تحقيق ، أبو الفداء عبد الله القاضي / ط 2 / دار الكتب العلمية / بيروت ، 1415 هـ – 1995 م .
- البغدادي ، إسماعيل باشا (ت 1339هـ / 1920م) ،
٣ - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، بغداد / سنة 1951م .
- ابن تغرى بردي / جمال الدين أبى المحاسن يوسف (ت 874هـ) .
٤ - النجوم الزاهرة / مصر 1929م .
- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت 1067هـ - 1656م)
٥ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .
- الذهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت 748هـ - 1347م) .
٦ - العبر في خبر من غبر ، حققه / أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول / بيروت / لبنان .
٧ - تذكرة الحفاظ ، مطبعة حيدر آباد الدكن ، الهند ، 1377هـ - 1958م .
ابن خلكان ، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ - 1282م) .
٨ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه / د. إحسان عباس / دار صادر / بيروت .
- السبكي : أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت 771هـ - 1369م) .
٩ - طبقات الشافعية الكبرى / تحقيق / د. عبد الفتاح محمد الحلو و محمود محمد الطناحي / ط 2 / دار الهجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الجيزة / 1413هـ - 1992م .
- ابن العماد : أبي الفلاح عبد الحي (ت 1089م) .
10- شذرات الذهب في أخبار من ذهب / بيروت – لبنان .
- القرشي : عبد القادر محمد بن أبي الوفا (ت 775هـ - 1373م) .
11- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية / ط1/ دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / 1446هـ - 2005 م .
- القلقشندي : احمد بن علي (ت 821هـ - 1418م) .
12- صبح الأعشى في صناعة الأنشا / تحقيق : يوسف علي الطويل / دار الفكر دمشق / 1408هـ - 1987م .
- ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ - 1372م) .
13- البداية والنهاية / الطبعة الأولى – 1966م / والطبعة الثانية – 1977م / بيروت .
- المنذري : زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت 656هـ - 1258م) .
14- التكملة لوفيات النقلة ، حققه / د. بشار عواد معروف / ط الثانية / 1401هـ - 1981م / بيروت مؤسسة الرسالة .